مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

فِي التَّسْلِيْمِ القُرْآنِيِّ:

الإعْجَازُ البَيَانِيِّ فِي تَعَدُّدِ مَعَانِي المُفْرَدَةِ القُرْآنِيَّةِ الوَاحِدَةِ
دِرَاسَةٌ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ

أحمد حنون ميس [1]

[1] الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم علوم القرآن الكريم، العراق؛
alatabialatabi1986@yahoo.com

دكتوراه في اللغة العربية / مدرس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٦/٢/٣	٢٠٢٦/٤/١٩	٢٠٢٦/٦/٣٠

المُجَلَّـدُ (٢٦) العَـــدَدُ (٣٨)
مُحَرَّم ١٤٤٨هـ . حزيران ٢٠٢٦م

DOI:
10.55568/t.v26i38.1-27

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

قَصَدَ الباحث في دراسته المتواضعة هذه تلمُّس ظاهرة بيانيَّة من ظواهر إعجاز النظم الكريم لآيٍّ القرآن العظيم ألا وهي مجيء المفردة الواحدة للمعاني المتعدِّدة, كلاً بحسب البناء الذي جرت عليه والمعنى الذي سيقت إليه، وثمَّة تطبيقات أوردتها هذه الدراسة ابتداءً من الاسم وانتهاءً بالحرف، وهذه التطبيقات على وجازتها يتلمَّس فيها القارئ روعة الأسلوب وجمال التصوير ما لا يتفوَّق عليه بيان، ولا يتذوَّق حلاوته إلا من تذوق حلاوة القرآن.

وقد أفصحت الدراسة من خلال التطبيقات التي أوردتها عن السعة الدلالية التي حواها اللفظ القرآني، إذ جعلته من بنائه المعجز يفوق كلَّ البناءات الأدبية الأخرى.

الكلمات المفتاحيّة: الإعجاز، البيان، تعدُّد المعنى.

Rhetorical Miracle in Multiplicity of Meanings for Single Quranic Word Study on Exegetical Works

Ahmed Hannoun Mays [1]

[1] Al-Mustansiriyah University / College of Education / Dept. of Quranic Sciences, Iraq;

alatabialatabi1986@yahoo.com

PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
3/2/2026	19/4/2026	30/6/2026

DOI: 10.55568/t.v26i38.1-27

Volume (**26**) Issue (**38**)

Vol.26, Issue No. 38 Muharram, 1448 AH / June, 2026 AD

Abstract:

In such a modest study, the researcher aims to explore a rhetorical phenomenon among the miraculous aspects of the eloquent structure of the ayats in Glorious Quran: the use of a single word to convey multiple meanings, each according to its grammatical structure and the meaning it conveys. This study presents practical examples, ranging from nouns to particles. These examples, though brief, allow the reader to perceive the splendor of the style and the beauty of the imagery, a level of eloquence unsurpassed by any other expression, and whose beauty could only be truly appreciated by those who have tasted the sweetness of Quran.

Through these examples, the study reveals the semantic breadth inherent in the Quranic language, a breadth that, by its miraculous structure, surpasses all other literary form .

Keywords: Miraculousness, Eloquence, Multiplicity of Meaning

المقدِّمة

لقد صدق عزَّ من قائل إذ يقول: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾(الإسراء: ٨٨)، فهو الكتاب الذي لا تدانيه صناعة ولا تجاريه صياغة مهما توالت العصور والدهور.

ويأتي هذا البحث في سياق استكناه لطائف المفردة القرآنيَّة وما انطوت عليه من مظاهر الإعجاز وأسرار البيان، إذ إنَّ واحدة من الظواهر الأسلوبيَّة لنظام التعبير القرآنيِّ هو هذا الملحظ الدقيق المتمثِّل بوحدة المفردة وتنوُّع معانيها ليحقِّق بهذا الاستعمال حاجة السياق وما يؤول إليه نظم الآي، الأمر الذي استدعى المفسِّرين وعلماء الإعجاز للتوقُّف عنده وتأمُّل دلالاته.

وقد دفعتني إلى انتقاء هذا الموضوع على ما سواه أسباب متعدِّدة لعلَّ من أبرزها:

١- إبراز مظاهر الإعجاز القرآنيِّ من خلال المفردة الواحدة وما انطوت عليه من مقاصد، فالتعبير المجيد كثيراً ما ينتقي مفردة لها أكثر من دلالة ممَّا يعني أنَّنا سنكون حيال مهمَّة تحديد القصديَّة التي سيقت لأجلها، أقُصد إلى أحد هذه الدلالات؟ أم إنَّ الدلالات مرادةٌ على هذا التوسُّع؟

٢- إنَّ هذه الدراسة تُفصح للباحثين والدارسين المعنيين بالشأن القرآنيِّ عن أهمِّيَّة الخلفيَّة الأدبيَّة واللُّغويَّة في فهم معاني المفردة القرآنيَّة، وهو جانب يعمِّق فهم مقاصد التعبير، وعلى قدر الدّربة والملكة فيه تكون الدقَّة في اقتناص المعاني المقصودة وترجيح الصواب على غيره من الوجوه.

٣- إنَّ هذا البحث في حقيقته امتداد لبحوث سابقة سلكت المسلك ذاته، إذ تلمَّست منها بعض لطائف التنزيل من خلال ما يؤول إليه النَّظم القرآنيِّ المعجز الذي انماز بعلوِّ نظمه وفصاحته إذ لم يقرب من خصائصه البنائيَّة بناءٌ على الإطلاق.

وعلى الرغم من قلَّة صفحات هذه الدراسة وتواضعها فقد تعدَّدت مصادرها

ما بين كتب التفسير والدراسات القرآنيَّة، وكتب البلاغة والإعجاز، وكتب اللغة والوجوه والنظائر وغيرها.

لذا فقد ارتأيت أن تكون الخطَّة مُقسَّمة على تمهيد وثلاثة مباحث، فأمَّا التمهيد: فقد وُضِعَ أساساً للتعريف بمفهوم الإعجاز البيانيِّ بمعناه التركيبيِّ الوصفيِّ وبيان ماهيَّته، وأمَّا المبحث الأوَّل: فقد سلَّطتُ الضوء فيه على سرِّ الإعجاز في تعدُّد معاني المفردة القرآنيَّة على مستوى الاسم، وفيه ظفرتُ بطائفة من المفردات القرآنيَّة ذي المعاني المتعدِّدة في السياقات المختلفة، كاشفاً في هذا المقام وجه الإعجاز وسرَّ التعبير الذي استدعي سَوْقَ كلِّ مفردة منها على النَّظم الذي جَرَت عليه.

وأمَّا المبحث الثاني من الدراسة فقد خُصِّص كسابقه للحديث عن تعدُّد الدلالات القرآنيَّة للمفردة على مستوى الفعل، ثمَّ يليه المبحث الثالث ليُكرَّس للحديث عن تعدُّد المعاني على مستوى الحرف.

تمهيد

وقفة مع مصطلح (الإعجاز البيانيِّ) بمعناه التركيبيِّ الوصفيِّ

تعدُّ مسألة الإعجاز البياني للنصِّ القرآنيِّ المعجز وما انطوى عليه من أسرار التعبير ومزايا النَّظم، واحدةٌ من بين الظواهر التي فرضت وجودها على المجتمع العربي في صدر الإسلام، فمنذ أن نزل النصُّ الخالد على صدر النبيِّ الكريم ﷺ أدركت قريش أنَّ هذا الكتاب ليس من صنيع بشر، فعجز عن مجاراته أرباب الفصاحة والبلاغة وعمالقة البيان منهم ممَّن بلغت الرُّقي تعبيراتهم ولم يصمد أحد منهم أمامه حتَّى قال الوليد بن المغيرة مُقرًّا مُذعنًا: (والله لقد سمعت من محمَّد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الأنس ولا من كلام الجن، والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق. وأنَّه يعلو ولا يعلى عليه)[1].

١ القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الجامع لأحكام القرآن, ط٢ القاهرة-مصر: دار الكتب المصرية, (١٣٨٤هـ), ١٩/ ٧٤.

لـذا فـإنَّ دلالـة هـذا المصطلـح تنحـصر في عـدم قـدرة الكافريـن وعجزهـم عـن مواجهـة تلكـمُ الصنعـة البيانيَّـة الخارقـة لفصاحتهـم وبلاغتهـم، وقصورهـم عـن الإتيـان بمثلهـا أو بجـزء منهـا عـلى الرغـم مـن قدرتهـم العاليـة عـلى صناعـة أبلـغ فنـون التعبـير وأرقـى مسـتويات النَّظـم[٢].

ومـع إنَّنـا نُـدرِك بـأنَّ عجـز العـرب آنـذاك راجـع إلى نظْـم الآي وعلـوِّ بيانـه إلَّا أنَّنـا في الوقـت نفسـه نعلـم بأنَّـه ليـس لديهـم وجـه آخـر للتحـدِّي غـير هذا الوجـه، وإنَّ مـا أُضيـف إلى الإعجـاز مـن وجـوه أخـرى مـن قبيـل الإعجـاز الغيبـيِّ والتشريعـيِّ والعلمـيِّ وغيرهـا، فـإنَّ هـذه الوجـوه قـد أُصِّـل لهـا بعـد أن مضت القـرون وأنعـم نظرهـم الباحثون في نظْـم التعبـير القـرآنيِّ ومـا يـؤول إليـه بنـاؤه[٣].

وفي ضـوء مـا تقـدَّم يمكـن أنَّ نقـرِّر حقيقـة علميَّـة مفادهـا أنَّ المعجـزة لا بـدَّ أن تكـون مـن جنـس مـا يُحسِـن مجتمـع النبـيِّ المُرسَـل ﷺ، فكـما أنَّ الطـبَّ الروحـانيَّ قـد سـادَ في مجتمـع عيسـى -عليه السلام- فقـد جـاءت معجـزة عيسـى مـن جنـس مـا يحسـنون وبالطـبِّ الـذي عجـزوا عـن مجاراتـه أو الإتيـان بمثلـه مـن قبيـل إبـراء الأكمـه والأبـرص، وإحيـاء الموتـى بـإذن الله عزوجل، وكـما أنَّ السـحر قـد انتـشر في زمـن موسـى عليه السلام فقـد جـاءت معجـزة موسـى مـن جنـس مـا يحسـنون وبالسـحر الخـارق لسـحرهم وقـد صرَّح القـرآن الكريـم بذلـك فقـال: ﴿وَمَـا تِلْـكَ بِيَمِينِـكَ يَـا مُوسَـىٰ * قَـالَ هِـيَ عَصَـايَ أَتَـوَكَّأُ عَلَيْهَـا وَأَهُـشُّ بِهَـا عَـلَىٰ غَنَمِـي وَلِيَ فِيهَـا مَـآرِبُ أُخْـرَىٰ * قَـالَ أَلْقِهَـا يَـا مُوسَـىٰ * فَأَلْقَاهَـا فَـإِذَا هِـيَ حَيَّـةٌ تَسْـعَىٰ * قَـالَ خُذْهَـا وَلَا تَخَـفْ سَـنُعِيدُهَا سِـيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ (طـه: ١٧-٢١).

وكـما أنَّ الفصاحـة والبلاغـة سـادت المجتمـع القـرشيِّ في زمـن النبـيِّ ﷺ حتَّـى أنَّ العـرب كانـت تعلِّـق أشـعارهم عـلى أسـتار الكعبـة لفصاحتهـا وقوَّتهـا ومـن هنـا سـمِّيت

٢ الجرجاني, عبد القاهر ,دلائل الإعجاز, تحقيق. محمود شاكر أبو فهر مطبعة المدني بالقاهرة, (١٩٩٢), ٧٧.

٣ الخطيب, عبد الكريم. الإعجاز في دراسات السابقين, ط٣ القاهرة-مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر, (١٤٠٥هـ), ٢٢.

بالمعلقات، لهذا السبب جاءت معجزة النبي بالفصاحة والبلاغة التي أعجزتهم بشهادة القاصي والداني، وهذا ما استدعى أن يكون التعبير المجيد خارقاً للعادة في نظمه وعلوِّ بيانه الذي أقرَّ به المفترون، واستيقن به المنكرون.

فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (البقرة: ١٩٦)، يجد المتأمِّل روعة البيان ودقَّة الاستعمال في انتقاء لفظتي (قصاص، حياة) لما حوتهما هاتين المفردتين من معنيين متطابقين هما القصاص والحياة، ومن حسن الصنعة البيانيَّة للترتيل في هذا الموطن أنَّه أتى باللفظ اليسير الدالّ على المعنى الكثير، لأنَّ الإنسان بطبيعته إن استشعر أنَّه إن قام بفعل القتل فإنَّ ذلك يستدعي القصاص منه كان ذلك رادعاً ومانعاً له عن قتل الإنسان، وكأنَّه بهذه الحال قد أحيا نفسه ونفس غيره على حدٍّ سواء، فيكون القصاص حينئذٍ حياة ونجاة للطرفين.

في حين نجد –في هذا الباب– ما أُثِرَ عن العرب قولهم (القتل أنفى للقتل)[٤]، وهو لا يرقى الى مستوى البلاغة القرآنيَّة من جهة تأدية المعنى من وجوه متعدِّدة لعلَّ من أبرزها:

١- أنَّ ظاهر قول العرب في أعلاه يُفهَم منه أنَّ الشيء سببٌ لانتفاء نفسه فلرُبما يكون القتل سبباً لحصول قتل آخر وفتنة أخرى، بخلاف التعبير القرآنيِّ أعلاه فإنَّه دالٌّ على أنَّ في القصاص نجاة وسبب للحياة وديمومتها.

٢- أنَّ ظاهر قولهم فيه تكرار لمفردة (قتل) وهو مُخلٌّ بفصاحته، بخلاف اللفظ القرآنيِّ فهو بعيد عن التكلُّف والتكرار إذ يتَّسم بالجزالة والسهولة في النطق.

٣- أنَّ ما يصبو إليه قولهم فيه دلالة واحدة مقصورة على الردع، في حين أنَّ اللفظ القرآنيَّ شاملٌ للردع وزيادة.

---

٤ الباقلاني, أبو بكر محمد بن الطيب .إعجاز القرآن, تحقيق. أحمد صقر, ط٥ القاهرة-مصر: دار المعارف, (١٤٨١هـ), ١/ ٢٦٣.

٤- أنَّ التعبير المجيد قد لجأ إلى أسلوب الترغيب والترهيب في آنٍ واحدٍ، فكلمة (حياة) فيها ترغيب وتشويق، فناسب استعمالها في الآي بعد الترهيب في القصاص الذي يصوِّر الخوف والاشمئزاز لدى المتلقِّي ممَّا يردع القاتل عن القتل.

٥- وثمَّة وجه آخر يلتمسه كلُّ من أوتي نصيبًا من تذوِّق النصوص ومعرفة أساليب الكَلِم، وهو مُدرك بالبناء الصوتيِّ مفادهُ: إنَّ الانتقال من الفاء إلى اللام أعدل من الانتقال من اللام إلى الهمز، وسبب ذلك هو بعد الهمز عن اللام، وكذلك الانتقال من الصاد إلى الحاء، أعدل من الانتقال من حرف الألف إلى اللام[٥].

إذن تأسيساً على الكلام أعلاه نستطيع القول: أنَّ أكثر معجزات الأنبياء السابقين كانت حسِّيَّة، بينما نجد أنَّ المعجزة البيانيَّة الكبرى التي جاء بها رسولنا الكريم ﷺ عقليَّة، ونعني بذلك القرآن، ولعلَّ هذا راجع إلى أنَّ الشريعة الإسلاميَّة بوصفها آخر الشرائع وستبقى خالدة إلى أبد الدهر.. إلى أن تقوم القيامة لذا فقد خصَّت بالمعجزة العقليَّة الباقية، ليراها كلُّ ذوي بصيرة في مختلف العصور ومهما تقدَّم الزمان وتغيَّر المكان، لأنَّ معجزات الأنبياء السابقين عليهم السلام قد انقرضت بانقراض أعمارهم، فلم يشاهدها إلَّا من حضرها، بينما معجزة نبينا العظيم مستمرَّة إلى قيام الساعة.

المبحث الأوَّل

تعدُّد معاني المفردة القرآنيَّة على مستوى الاسم

قد يرد الاسم في التعبير القرآنيِّ المعجز ببناء واحد ومعنى متعدِّد، فتعدُّد الدلالات أو تعدُّد المعاني للاسم الواحد هو ما عبَّر عنه علماء اللُّغة بـ(الاشتراك اللفظيِّ) الذي يكون سببه الوضع أو الاستعمال أو كلاهما معًا.

٥ ابن الأثير, المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر, تحيق. بدوي الحوفي, أحمد طبانة, ط٢ دار النهضة العربية, (١٩٧٣), ١/ ١٩٣.

وتُعدُّ هذه المسألة واحدة من الظواهر التي حظيت بعناية علماء العربيَّة والإعجاز –قديماً وحديثاً– ولذلك لصلتها المباشرة بمسألة اللَّفظ والمعنى، ولعلَّ المكتبة العربيَّة والقرآنيَّة خير شاهد على ذلك.

وثمَّة عيِّنات تطبيقيَّة استقاها الباحث في هذه الدراسة من أُمَّات المصنَّفات التفسيريَّة والبيانيَّة دلَّت على اتِّحاد المبنى وتغاير المعنى على مستوى (الاسم)، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١ – (خير):

اسمٌ تعدّد معناه في الترتيل العزيز في نحو ثمانية معاني هي: (المال، الإيمان، الإسلام، التفضيل، العافية، الأجر، الطعام، الظفر والغنيمة)[٦]، فمن مواضع وروده في الآي المبارك واختصاصه بمعنى (المال) هو قوله تعالى: ﴿**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ**﴾ (البقرة: ٢٧٢).

إنَّ استقراء الباحث وما جادت به قدرته في تتبع آراء المفسِّرين ووقوفهم عند معنى اللَّفظة في هذا الموضع اتَّضح أنَّ جمهورهم يقتصر دلالتها على المال لا غير من دون أن يُصرِّح بالقرينة التي استدعت الذهاب إلى هذا المعنى[٧].

والذي استقرَّ في الذهن أنَّ سبب ورودها بمعنى المال وانصرافها عن باقي المعاني يتمثَّل باقترانها بذكر الإنفاق، وبهذا فإنَّ قرينتي الحال والمقال قد اجتمعتا فاستدعتا صرف هذا الاسم إلى معنى المال، فأمَّا قرينة المقال فتتمثَّل بملازمة لفظ الخير لفعل الإنفاق (**تُنْفِقُوا**) وجريانه على سياق واحد، وأمَّا قرينة الحال فتتمثَّل بالحال الذي استدعى الإنفاق بالنسبة للمخاطب، فمن كلا القرينتين نستدلُّ على

٦ الدامغاني, الحسين بن محمد, الوجوه والنظائر, تحقق. سيد الأهل عبد العزيز, ط١ بيروت–لبنان: دار العلم للملايين, (١٤١٢هـ), ١٦٧–٦٨.

٧ السمرقندي, أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد , تفسير بحر العلوم, ط١ بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية, (١٤١٣هـ), ١/ ٢٢٦.

اختصاص هذا الاسم في هذا الموضع بمعنى المال على ما سواه من المعاني وهنا تتجلَّى دقَّة الإعجاز في انتقاء المبنى وسَوْق المعنى المناسب له.

وفي مواضع أخرى من الآي الكريم نجد أنَّ الاسم (خير) لم يرد بمعنى المال، كما في قوله تعالى:﴿ **إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا** ﴾(الأنفال: ٧٠)، فـ(خير) هنا انصرفت إلى معنى (الإيمان)، وفيها يقول الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): (والمراد بالخير محبَّة الإيمان والعزم عليه، أي: فإذا آمنتم بعد هذا الفِداء يؤتكم الله خيراً ممَّا أخذ منكم، وليس إيتاء الخير على مجرَّد محبَّة الإيمان والميل إليه، كما أخبر العبَّاس عن نفسه، بل المراد به ما يترتَّب على تلك المحبَّة من الإسلام بقرينة قوله:﴿ **وَيَغْفِرْ لَكُمْ**﴾(الأنفال: ٧٠)[٨]، فاستدلَّ بن عاشور على معناها من بين المعاني المتعدِّدة من خلال نسَق الآي وما أرشدت إليه وحدة السياق.

ومن مواضع ورودها بمعنى الإسلام في قوله تعالى:﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾ (البقرة: ١٠٥)، إذ يقول السمرقندي (ت: ٩٧٣هـ): (قوله تعالى: ﴿**أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾، يعني أن ينزِّل على رسولكم من الوحي وشرائع الإسلام لأنَّهم كانوا كفَّاراً، فيحبُّون أن يكون الناس كلُّهم كفَّاراً مثلَهم)[٩].

وقد استدعى البناء القرآنيُّ ورودها بمعنى التفضيل، نحو ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (المؤمنون: ١١٨) والمعنى: أفضل الراحمين ونظير هذا الاستعمال قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾ (الأعراف: ٨٧).

ومن معانيها المردّدة في الترتيل العزيز معنى "العافية" كما في قوله تعالى﴿: **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (الانعام: ١٧)، وفي هذا المعنى جاء في تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل: (قوله

٨ ابن عاشور, التحرير والتنوير تونس: الدار التونسيّة للنشر, (١٩٨٤), ٦/ ٢٠٢.
٩ السمرقندي, تفسير بحر العلوم.

تعالى: **"وإن يمسسك الله بضر"** يعني بشدَّة وبلية والضرّ اسم جامع لما ينال الإنسان من ألم ومكروه وغير ذلك ممَّا هو في معناه **"فلا كاشف له إلَّا هو"** يعني فلا يدفع ذلك الضرَّ إلَّا الله ﷻ: **"وإن يمسسك بخير"** يعني بعافية ونعمة)[١٠] ولا شكَّ أنَّ العافية واحدة من مصاديق النعمة.

ومن المواضع التي اختصَّ مجيء اللفظة فيها بمعنى "الأجر" قوله تعالى: ﴿**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ**﴾(الحج: ٢٦) ولأجل هذا المعنى وانصراف الآية إليه يقول السيد محمَّد تقي المدرِّسيِّ –وهو من المفسِّرين المعاصرين: (البدن هي الإبل التي تقلَّد لتنحر في منى، وهذه من الشعائر المقدَّسة، ولنا فيها وأمثالها من الأجر الكثير، إذ فيها خير مادِّيٌّ ومعنويٌّ، وذلك بالاستفادة منها أوَّلًا، وبالحصول على التقوى من خلالها ثانيًا)[١١].

٢- (الزلل):

اسم (الزلل) في اللغة مأخوذ من الجذر (زلَّ)[١٢]، وقد تردَّد باشتقاقاته في الترتيل العزيز بمعنيين هما: الميل والخروج عن الشيء[١٣]، فأمَّا الأوَّل فقد سيق في قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ **(البقرة: ٢٠٩)** والمعنى عند المفسِّرين وعلماء البيان أي: ملتم عن شريعة الإسلام ونبوَّة محمَّد ﷺ[١٤].

أمَّا الاستعمال الثاني فقد جاء الزلل بمعنى الخروج عن الدين كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا**﴾(النحل: ٢٤) فمعنى زلل القدم بعد ثبوتها هو خروجها عن طاعة الله ودين الإسلام، وفي هذا المعنى

---

١٠ الخازن, أبو الحسن علاء الدين بن محمد بن إبراهيم, لباب التأويل في معاني التنزيل, تحقيق. محمد علي شاهين, ط١ بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية, (١٤١٥هـ), ٢/ ٣٧٣.

١١ المدرسي، محمد تقي, تفسير من هدى القرآن بيروت–لبنان: دار القارئ, (١٤٤٤هـ), ٥/ ٣٨٥.

١٢ ابن عباد, إسماعيل بن العباس الصاحب, المحيط في اللغة بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية(د.ت.),٢/ ٢٩٠.

١٣ الدامغاني, الوجوه والنظائر٢١٩.

١٤ أبو السعود, إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم, ج٩ بيروت–لبنان: دار إحياء التراث العربي(د.ت.), ١/ ٢٦٩.

يقول الزمخشريُّ في الآية: (قوله: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ فتزلّ أقدامكم عن محجَّة الإسلام بعد ثبوتها عليها ﴿وَتَذُوقُواْ السوء﴾ في الدنيا بصدودكم ﴿عَن سَبِيلِ الله﴾ وخروجكم من الدين)[١٥].

وقد يتبادر إشكال إلى ذهن القارئ المتلقِّي مفادهُ: أوَليس المعنى الأوَّل متداخل مع الثاني ومشتقٍّ منه وإن اختلف في التسمية؟ فإنَّ الميل عن الشيء هو خروج منه في المقام ذاته، فنقول: ليس بالضرورة الميلان عن الشيء يستدعي الخروج منه وإن تقارب معنيا اللَّفظ، فثمَّة فارق في أن تقول: خرج فلان عن جادَّة الصواب وبين قولك: مالَ فلان عن جادَّة الصواب، فالخروج في الأولى ممكن أن يكون خروجاً كلِّيًّا والثاني نسبيًّا، وهذا ما أفصحت عنه معجمات العربيَّة وقواميسها[١٦].

٣- (زوج):

اسمٌ ورد استعماله في النظم الكريم بثلاثة معاني إحداها بمعنى الحِلْ وثانيها بمعنى الصنف وثالثها بمعنى القرين[١٧].

فمن المعنى الأوَّل قوله تعالى: ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (البقرة: ٢٥) ومعنى الأزواج المطهَّرة يعني الحلائل[١٨]، ونظيره قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ**﴾ (النساء: ١٢).

ومن المعنى الثاني قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾ (الشعراء: ٧)، والمعنى: أي من كلِّ صنف من النبات[١٩]، ونظيره قوله تعالى: ﴿**ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ**﴾(الأنعام: ١٤٢)، إذ يقول البقاعي

١٥ الزمخشري, محمود , الكشاف, ط٣ بيروت: دار الكتب العربي, (١٩٤٧), ٣/ ٣٩٤.
١٦ ابن منظور, لسان العرب, ط٣ بيروت: دار صادر, (١٤١٤هـ), ١١/ ٣٠٦ مادة (زلل).
١٧ الدامغاني, الوجوه والنظائر, ٢٢٠.
١٨ الدامغاني, ٢١٩.
١٩ الزملكاني, كمال الدين عبد الواحد عبد الكريم .البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن, ط٣ بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية, (١٤١٦هـ), ٨٧.

(ت: ٨٨٥هـ) عند تفسير هذه الآية: (قوله تعالى: {ثمانية أزواج} أي أصناف، لا يكمل صنف منها إلَّا بالآخر، أنشأها بزواج كلٍّ من الذكر والأنثى الآخر، ولحق بتسميتهم الفرد بالزوج -بشرط أن يكون آخر من جنسه-

٤- (السِّر):

ومن معنى قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾(البقرة:٢٧٤)، فالسِّرُّ الذي دلَّت عليه الآية يراد به الخفاء، وبهذا الصدد يقول الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) مفسِّرًا الآية: (والسرّ: الخفاء. والعلانية: الجهر والظهور. وذكر عند ربّهم لتعظيم شأن الأجر. وقوله: {ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} مقابل قوله: {وما للظالمين من أنصار}).

إنَّ هذه المعاني وغيرها من التي حوتها هذه المفردات قد أرشد إليها سياق النَّظم الذي يشكِّل مظهراً من مظاهر الإعجاز وجودة السَّبك وروعة الأسلوب ما لا يتفوَّق عليه بيان ولا يُدرك حلاوته إلَّا من تذوَّق حلاوة القرآن.

المبحث الثاني

تعدُّد معاني المفردة القرآنيَّة على مستوى الفعل

كما أنَّ المعنى القرآنيَّ للاسم تردَّد وتعدَّد في أكثر من مقام فكذا الحال بالنسبة للفعل، فكثير من أبنية الأفعال ما تعدَّد معناها في الترتيل وسيقت لتؤدِّي دلالة مختلفة عن نظيرتها في غير موضع، ومنشأ هذا التعدُّد راجع الى خصيصة السياق وما تؤول إليه مقاصد النصِّ المعجز في كلِّ موضع، ومن بين الشواهد التطبيقيَّة التي يوردها الباحث في هذا المقام:

١- (شرى):

فعلٌ ماضي، ورد في الآي المبارك بثلاثة معاني: إحداها: الاختيار، وثانيها: الابتياع، وثالثها: البيع بعينه[٢٠]، فأمَّا المعنى الأوَّل فقد ورد في قوله تعالى:﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ (البقرة: ١٦)، أي أنَّهم اختاروا الضلالة بدلاً عن الهدى، وإلى هذا المعنى أشار الفخر الرازي إذ يقول: (واعلم أن اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به، فإن قيل كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلنا جعلوا لتمكُّنهم منه كأنَّه في أيديهم فإذا تركوه ومالوا إلى الضلالة فقد استبدلوها به، والضلالة الجور والخروج عن القصد وفقد الاهتداء فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين)[٢١].

وأمَّا معناه الثاني فقد ورد في قوله تعالى:﴿ **إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم**﴾(التوبة: ١١١)، فالدلالة التفسيريَّة للآية: ابتاع أي: قبِلَ ورضيَ، وإلى هذه الدلالة أشار أغلب المفسِّرين، وإليه ذهب فتح الله الكاشاني مستندًا فيه إلى قول الإمام الصادق -عليه السلام- إذ يقول: (لقد عبّر سبحانه عن إثابتهم بالجنَّة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالاشتراء، وجعل الثواب ثمناً، وأعمالهم الحسنة مثمنًا، تمثيلًا لإثابته إيَّاهم الجنَّة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله عن الصادق عليه السلام:" ليس لأبدانكم ثمن إلَّا الجنَّة ، فلا تبيعوها إلَّا بها")[٢٢].

ومن المواضع التي جاء بها الفعل بمعنى البيع بعينه قوله:﴿ **بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ**﴾ (البقرة: ٩٠) وفي رجاحة هذا المعنى يقول السمرقندي ناقلاً عن الكلبي

---

٢٠ سالم, عبد العال. المشترك اللفظي في الحقل القرآني, ط١ بيروت-لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر, (١٤٠٣هـ), ٨٥.

٢١ الرازي, فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن, مفاتيح الغيب, ط٣ بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي, (١٤٢٠هـ), ١/ ٣٤٤.

٢٢ الكاشاني, فتح الله بن شكر, زبدة التفاسير, ط٢ بيروت-لبنان: مؤسسة المعارف الإسلامية, (١٤٢٠هـ), ٢/ ١٧٠.

قولـه: (بِئْسَمَا اشْـتَرَوْا بِـهِ أَنْفُسَـهُمْ. قـال الكلبـيّ: بئسما باعـوا بـه أنفسـهم مـن الهدايـا بكتـمان صفـة محمَّـد ﷺ[٢٣].

٢- (شَطَطَ):

فعـلٌ مـاضي ثلاثـيّ، ورد في آي التعبـير القـرآنيِّ في موضعـين، الأوَّل جـاء مبـاشراً والثـاني جـاء مصـدراً قـام مقـام فعلـه وأدَّى وظيفتـه، وفي كلا الصيغتـين قـد دلَّ عـلى معنيـين الأوَّل: الكـذب والثـاني: الجـور[٢٤]، ومـا يهمنـا في هـذا المقـام هـو معرفـة سِّر الإعجـاز والوقـوف عـلى الدلالـة التفسـيريَّة التـي أدَّاهـا في كلِّ موضـع.

فمـن المعنـى الأوَّل قولـه تعـالى: ﴿**وَأَنَّـهُ كَانَ يَقُـولُ سَـفِيهُنَا عَـلَى اللهِ شَـطَطًا**﴾(الجن: ٤) والمعنـى: زوراً وكذبـاً، والـذي اسـتقرَّ لـدى الباحـث بعـد التفتيـش في المصنَّفـات التفسـيريَّة أنَّ بعـض المفسِّريـن لا يحـصر دلالـة هـذا اللفظـة عـلى مـا ورد في أعـلاه فحسـب وإنَّـما تـؤدِّي معنـى الكـذب وزيـادة فيجعلهـا للمبالغـة فيـه، وإلى هـذا ذهـب الواحـدي إذ يقـول: ({وأنَّـه كان يقـول سـفيهنا} جاهلنـا {عـلى الله شـططاً} غلـوّاً في الكـذب حتَّـى يصفـه بالوالـد والصاحبـة)[٢٥]، بخـلاف بعـض المفسِّريـن الذيـن قـصروا دلالتهـا عـلى الكـذب وحـده[٢٦].

وأمَّـا مـن مواضـع ورودهـا بالمعنـى الثـاني قولـه تعـالى:﴿ **فَاحْكُـم بَيْنَنَـا بِالْحَـقِّ وَلَا تُشْطِطْ**﴾(سـورة ص: ٢٣)، أي: ولا تُجِـرْ، وفي هـذا المعنـى يقـول الفـرَّاء: (وقولـه (وَلا تُشْـطِطْ) يقـول: ولا تَجُـر: وقـد يقـول بعـضُ العـرب: شـططتَ عـليّ فِي السَّـوم، وأكثـر الـكلام أشـططت).

---

٢٣ السمرقندي, تفسير بحر العلوم, ١/ ٧٢.

٢٤ يونس, محمد محمد, المعنى وظلال المعنى القاهرة-مصر: مكتبة الشباب(د.ت.), ٨٧.

٢٥ الواحـدي, أبـو الحسـن عـلي بـن أحمـد بـن محمـد, الوجيـز في تفسـير الكتـاب العزيـز, ط٢ السـعودية: دار الإصـلاح, الدمـام, (١٤١٢هـ), ١/ ١١٣٩.

٢٦ البغـوي, أبـو محمـد الحسـين بـن مسـعود, معـالم التنزيـل في تفسـير القـرآن الكريـم, ط٢ بيروت-لبنـان: دار إحيـاء الـتراث العـربي, (١٤٢٠هـ), ٨/ ٢٣٨.

٣- (استطاعَ):

فعلٌ ماضي ومادَّته اللُّغويَّة هي (ط،و،ع) بحسب ما نصَّت عليه معجمات اللُّغة وقواميسها، وقد تعدَّد معناه في الترتيل العزيز بين معنيين، الأوَّل: بمعنى المقدرة على الشيء، والثاني: بمعنى الطاعة القلبيَّة[٢٧].

فمن المعنى الأوَّل قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾ (آل عمران: ٩٧)، فالدلالة التي أدَّاها الفعل في هذا الموضع هي المقدرة على الشيء، وبهذا الصدد يقول المراغي في تفسير الآية: (واستطاعة السبيل إلى الشيء إمكان الوصول إليه كما قال تعالى: ﴿**فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ**﴾ (غافل: ١١) وقال: ﴿**مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ**﴾ (التوبة: ٩١) وتختلف الاستطاعة باختلاف الأشخاص، واختلاف البعد عن البيت والقرب منه، وكلُّ مكلَّف أدرى بنفسه في ذلك)[٢٨] فواضحٌ من خلال قول المراغي (....إمكان الوصول إليه....) أنَّ الفعل يحمل دلالة المقدَّرة وإمكانية الوصول إلى الشيء.

أمَّا المعنى الثاني وهو الطاعة القلبية فقد ورد في قوله تعالى: ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ**﴾ (النساء: ١٣٩) فالنص الكريم هنا يريد أن يجسِّد الفكرة للإنسان فيقول: أنَّك لا تستطيع أن تعدل بين النساء في الحبِّ أو المشاعر، فالاستطاعة هنا معنويَّة، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿**مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ**﴾ (هود: ٢٠)وهو الإيمان، وثمَّة شواهد في الترتيل العزيز من هذا القبيل.

---

٢٧ القيسي, عودة الله منيع ,سّر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن, ط١ عمان_ الأردن: دار عمار, (١٤٤٢هـ), ٧٩.

٢٨ المراغي, أحمد بن مصطفى , تفسير المراغي, ط١ القاهرة-مصر: مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده, (١٣٦٥هـ), ٩/ ٤.

٤- (ظلَّ):

فعلٌ ماضي واللام فيه مدغمة، والاصل (ظ،ل،ل) سيق في الكتاب المصون على معنيين، الاول: بمعنى الميلان، والثاني: بمعنى الإقامة[٢٩]، فمن المعنى الاول قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ**﴾ (الحجر :١٤)، والمعنى: أي مالوا فيه، وإلى هذا أشار السمِّين الحلبيُّ عند تفسير هذه الآية قائلاً: (قوله تعالى: {فَظَلُّواْ}: مالوا، والضميرُ في "فظلُّوا" عائدٌ على الكفَّارِ المُفَتَّحِ لهم البابُ. وقيل: يعودُ على الملائكة. وقرأ الأعمشُ وأبو حَيْوة "يَعْرِجون" بكسر الراء، وهي في لغةُ هُذَيْلٍ في عَرَج يَعْرِج، أي: صَعِد).

أمَّا الدلالة التفسيريَّة الثانية للفعل فقد ورد في مواضع متعدِّدة من التعبير القرآنيِّ الكريم كقوله تعالى: ﴿**وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا**﴾ (طه: ٩٧) والمعنى: أقمت عليه عابداً، ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿**قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ**﴾ (الشعراء: ٧١)، وفي هذه الآية يقول الماتريدي: (أي: نقيم عليها عابدين، ونديم على عبادتها، والعكوف على الشيء: هو الإقامة عليه والدوام).

٥- (فاضَ):

فعلٌ، ورد في القرآن الحكيم بصيغة الماضي والمضارع، فتردَّد في ثلاثة معاني الأوَّل بمعنى: الرجوع، والثاني بمعنى: الخوض، والثالث بمعنى: السَّيل، فأمَّا الأوَّل فمنه قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**﴾ (البقرة: ١٩٩) أي: ارجعوا من حيث ما أفاض الناس[٣٠]، وأمَّا المعنى الثاني فهو الوارد في قوله سبحانه: ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ**﴾ (يونس: ٦١)، أي: تخوضون فيه، وإلى هذا أشار أبي السعود العمادي بقوله: (**{إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ}** أي تخوضون وتندفعون فيه وأصلُ الإفاضة الاندفاعُ

٢٩ الدامغاني, الوجوه والنظائر, ٣/ ٣٧٤.

٣٠ القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, ٢/ ٤٢٨.

بكثـرة أو بقـوَّة وإذ أريـد بالأفعـال السـابقةِ الحالـةُ المسـتمرَّةُ الدائمـةُ المقارنـةُ للزمـان الماضي أيضًـا أوثـر في الاستثناء صيغـةُ المـاضي وفي الظـرف كلمـةُ إذ التـي تفيـد المضـارعَ معنـى المـاضي)[٣١].

وأمَّـا المعنـى الثالـث: فقـد سـيقَ في قولـه تعـالى:﴿ **وَإِذَا سَـمِعُوا مَـا أُنـزِلَ إِلَى الرَّسُـولِ تَـرَىٰ أَعْيُنَهُـمْ تَفِيـضُ مِـنَ الدَّمْـعِ مِمَّـا عَرَفُـوا مِـنَ الْحَـقِّ** ﴾(المائـدة: ٨٣) وفي هـذا المعنـى يقـول السـيِّد محمَّـد تقـي المـدرِّسي مفسِّرًا الآيـة: (لا يؤاخـذ أولئـك الذيـن قدمـوا إلى الرسـول ﷺ ليأخذهـم معـه إلى الحـرب فلـم يجـد الرسـول ﷺ مـا يكفيهـم لمؤونـة الخـروج فعـادوا وقـد سـالت عيونهم من الدمع حزنًـا عـلى عـدم مشـاركتهم في الجهـاد، وأنَّهـم لا يملكـون نفقـة الجهـاد، إنَّ هـذا مثـل واحـد للنصـح لله وللرسـول ﷺ[٣٢].

المبحث الثالث

تعدُّد معاني المفردة القرآنيَّة على مستوى الحرف

للحـرف القـرآني قابليَّـة في توليـد المعـاني الثـواني، ولـه حـدود في إضـاءة العقـل وإيصـال الدلالـة التفسـيريَّة إلى المتلقِّـي، ولعـلَّ حـروف الجـرِّ تـأتي في طليعـة الأحـرف القرآنيَّـة التـي سـيقت لتأديـة المعـاني المختلفـة في السـياقات المتعـدِّدة، فقـد أظهـر أربـاب المصنَّفـات التفسـيريَّة معـاني هـذه الأحـرف كَشـفًا منهـم عـن معنـى الآيـة وإبـرازًا لمظاهـر الإعجـاز وعِظَـم الصنعـة البيانيَّـة التـي عجـز عـن مجاراتهـا أربـاب الفصاحـة والبلاغـة، إذ نجـد مـن هـذا البـاب كثيراً عنـد المفسِّريـن، وكثيرًا مـا يـأتي تعـدُّد المعنـى تبعًـا لتعـدُّد الاحتـمال، لـذا –ومـن بـاب الإيجاز وعـدم الإطنـاب– سيقتصر الباحـث تسـليط الضـوء عـلى خمسـة مـن هـذه الأحـرف عـلى النحـو الآتي:

---

٣١ أبو السعود, إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم, ٤/ ١٥٨.

٣٢ المدرسي،, تفسير من هدى القرآن, ٣/ ٣٠٩.

١- الحرف (مِنْ):

ثمَّة معاني وردت في الترتيل العزيز قد حواها هذا الحرف فأرشد إليها السياق ودلَّت عليها فنيَّة التوظيف الجماليِّ للتعبير الكريم، فقد يتعدَّد ورود الحرف في الآية الواحدة ويتعدَّد معناه كذلك، كما في قوله تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ**﴾ (النور: ٤٣)، فقد ورد "من" هنا ثلاث مرات فجاء تعدُّد معناه ملازمًا لتعدُّد وروده، وفي تحديد معانيه يقول الشوكانيُّ في هذه الآية: (وَالْحَاصِلُ أَنَّ مِنْ فِي مِنَ السماء لابتداء الغاية بلا خلاف ومِنْ فِي مِنْ جِبَالٍ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ: الْأَوَّلُ: لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ فَتَكُونُ هِيَ وَمَجْرُورِهَا بَدَلًا مِنَ الْأُولَى بِإِعَادَةِ الْخَافِضِ بَدَلَ اشْتِمَالٍ، والثَّانِي: أَنَّهَا لِلتَّبْعِيضِ فَتَكُونُ عَلَى هَذَا هِيَ وَمَجْرُورِهَا فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى أَنَّهَا مَفْعُولُ الْإِنْزَالِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَيُنَزِّلُ بَعْضَ جِبَالٍ: والثَّالِثُ: أَنَّهَا زَائِدَةٌ، أَيْ: يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ جِبَالًا. وَأَمَّا مِنْ فِي مِنْ بَرَدٍ فَفِيهَا أَرْبَعَةُ أَوْجُه)

إنَّ السعة الدلاليَّة للحرف "من" التي أشار إليها الشوكاني في أعلاه قد يتعذَّر حضورها في غير كتاب الله المعجز، وهذه القرينة وحدها كافية على أنَّ كلامه سبحانه يفوق سائر الكلام البشري فلا تدانيه صناعة ولا تجاريه صياغة.

٢- حرف (الباء):

ثمَّة دلالات تفسيريَّة انضوت تحت هذا الحرف تبعاً لخصيصة السياق وما يؤول إليه النَّظم، فمنها ما جاء لمعنى السببيَّة، ومنها ما جاء لمعنى الإلصاق، ومنها ما جاء بمعنى "على"....إلخ، ومن التطبيقات القرآنيَّة التي ورد فيها الباء قوله عزَّ من قائل: ﴿**فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (آل عمران: ١٥٣) فالمعنى: غمًّا بسبب غمّ، وإلى هذه الدلالة أشار ابن عطيَّة الأندلسيّ بقوله: (معنى قوله تعالى: "غَمًّا بِغَمٍّ" قال قوم: المعنى "أثابكم غمًّا" بسبب الغم الذي أدخلتموه على رسول الله صلَّى الله عليه]وآله[وسلَّم وسائر

المؤمنين، بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم)[٣٣] فواضح من قول ابن عطية "بسبب الغمِّ الذي....إلخ" أنَّ المعنى المراد هو السببيَّة.

ومن المفسِّرين مَن يتوسَّع فيعطي احتمالاً تفسيريًّا ثانيًا للحرف فيجعله بمعنى "على" كما ذهب إلى هذا القيروانيّ إذ يقول: (**{فأثابكم غَمًّا بِغَمٍّ}** أي: جزاكم بفراركم عن نبيِّكم ﷺ، وفشلكم عن عدوِّكم، ومخالفتكم غمًّا على غمٍّ، الباء في موضع على) ، فكلا الدلالتين المذكورتين متناسقتان من مع يؤول إليه السياق.

٣- الحرف (في):

تردُّد هذا الحرف في الترتيل العزيز بمعاني متعدِّدة منها معنى الظرفيَّة الزمانيَّة والمكانيَّة والمصاحبة والتعليل والاستعلاء وغيرها، ولعلَّ خير من فصلَّ القول فيه وأبانه هو الدكتور فاضل السامرائيّ في كتابه (معاني النحو) الذي جعل كلَّ تطبيقاته نصوصًا من القرآن الحكيم.

إنَّ معنى الظرفيَّة سواء الزمانيَّة منها أو المكانيَّة لعلَّه الأشهر من بين معاني هذا الفعل ولذا سنسلِّط الضوء عليه بقدر الذهاب إلى المعاني الأخرى.

فمن المواضع التي سيق لها الحرف ليؤدِّي دلالة المصاحبة هو قوله تعالى: ﴿**قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف: ٣٨)، والمعنى الأنسب لسياق الآي: "ادخلوا مع أمم" ولهذا يقول أبو الطيِّب القنوجي في تفسيره: ("قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم" القائل هو الله عزَّ وجلَّ، و"في" بمعنى "مع" أي: مع أمم وقيل هي على بابها والمعنى ادخلوا في جملتهم وغمارهم وعدادهم).

---

٣٣ الأندلسي, أبو محمد بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, تحقيق. عبد السلام عبد الشافي, ط١ بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية, (١٢٤٤هـ), ١/ ٥٢٦.

كما أنَّ هنالك مواضع أخرى من الآي قد استُعمل فيها الحرف بمعنى "على" للدلالة على الاستعلاء، منها قوله سبحانه: ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ**﴾ (طه: ٧١)، فمعنى الآية: على جذوع النخل، وبهذا الصدد يقول الفرَّاء: (وقوله (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) يصلح (عَلَى) فِي موضع (فِي) وإِنَّما صَلحت (فِي) لأَنَّه يرفع فِي الخشبة فِي طولها فصلحت (فِي) وصلحت (عَلَى) لأَنَّه يرفع فيها فيصير عليها).

٤- الحرف (إلى):

المعنى الأشهر لهذا الحرف هو انتهاء الغاية، كما في قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى**﴾ (الإسراء: ١) ومعنى الآية الذي أشارت إليه كتب التفسير: "إلى المسجد الأقصى"[٣٤].

وقد تعدَّد معناه في التعبير الكريم تبعًا لتعدُّد السياق والاستعمال، فقد ورد بمعنى المعيَّة كما في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ**﴾ (آل عمران: ٥٣)، أي: مع الله ﷻ، والشيء اللافت في تفسير هذه الآية أنَّ الحرف "إلى" لم يُستعمل بمعنى "مع" في لغة العرب وإنَّما اختصَّ التعبير القرآنيُّ وحده بهذا الاستعمال وهو ما أشار إليه ابن جنِّيٍّ بقوله: (ومنه قول المفسِّرين في قول الله تعالى: {مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ} أي مع الله، ليس أنَّ "إلى" في اللغة بمعنى مع، ألا تراك لا تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد: سرت مع زيد، هذا لا يعرف في كلامهم. وإنَّما جاز هذا التفسير في هذا الموضع؛ لأنَّ النبي إذا كان له أنصار فقد انضموا في نصرته إلى الله، فكأنَّه قال: من أنصاري منضمين إلى الله، كما تقول: زيد إلى خير، وإلى دعة وستر، أي آوٍ إلى هذه الأشياء ومنضمٌّ إليها. فإذا انضمَّ إلى الله فهو معه لا محالة. فعلى هذا

٣٤ الزجاج, أبو إسحاق إبراهيم بن السري, إعراب القرآن, ط١ بيروت-لبنان: عالم الكتب, (١٤٠٨هـ), ٢/ ٢٦٤.

فسَّر المفسِّرون هذا الموضع)[٣٥]، وهذه التفاتة لطيفة من ابن جنِّيٍّ.

٥- الحرف (عن):

المعنى الأبرز لهذا الحرف هو المجاوزة ومنه قوله تعالى: ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾ (آل عمران: ١٥٩)، أي: تجاوز عنهم، أمَّا المعاني الأخرى التي تردَّدت واحدة منها أنَّه سيقَ بمعنى "بعدَ" كما في قوله تعالى: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾ (النساء:٤٦) بدليل قوله تعالى: ﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ**﴾ (المائدة: ٤١)، ونظير هذا أيضًا قوله تعالى: ﴿**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ**﴾ (الانشقاق: ١٩).

ومن معانيه أيضًا أنَّه ورد بمعنى الحرف (من) كما في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾ (الشورى: ٢٥) أي: من عباده، بقرينة قوله تعالى: ﴿**فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ**﴾ (المائدة: ٢٧)، وفي هذا يقول الزمخشريُّ: (يقال: قبلت منه الشيء، وقبلته عنه. فمعنى قبلته منه: أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه. ومعنى: قبلته عنه: عزلته عنه وأبنته عنه)[٣٦].

خاتمة البحث

بعد فراغي من كتابة هذه الدراسة الموجزة لا بدَّ لي من الإدلاء بأهمِّ ما استقرَّ عندي من عصارة هذه الدراسة والتي تمثِّل الوعاء الذي يحتضن زبدة البحث وهي:

١- إنَّ الدلالة الاصطلاحية لمصطلح (الإعجاز البيانيّ) تنحصر في عدم قدرة الكافرين المناوئين للإسلام من مواجهة تلك الصنعة البيانيَّة المعجزة أو مجاراتها، مع ما تمتعوا به من فصاحة اللسان وعلوّ البيان.

٢- إنَّ المعجزة لا بدَّ وأن تكون من جنس ما يُحسِن مجتمع النبي المُرسَل فاشتراط التحدِّي مقرون به وملازم له.

٣- إنَّ الإعجاز البياني يأتي في طليعة صور الإعجاز القرآنيّ الذي تحدَّى به

٣٥ ابن جني, أبو الفتح عثمان, الخصائص, تحقيق. محمد علي النّجار, ط٢ عالم الكتب, (٢٠١٠), ٢/ ٢٦٦.
٣٦ الزمخشري, الكشاف, ٤/ ٢٢٢.

سبحانه عالمي الإنس والجن، لارتباط هذا اللون من الإعجاز بالصنعة ذاتها عند المجتمع القرشي في زمن النبي ﷺ.

٤- من خصوصية النَّظم لآي القرآن هو التوسُّع في معنى المفردة الواحدة فيسوقها تبعًا لما يقتضيه المقام وتستدعيه مقاصد النصِّ الكريم في كلِّ موضع.

٥- ثمَّة تطبيقات قرآنيَّة أوردتها الدراسة قد دلَّت على تعدُّد معنى المفردة في الترتيل العزيز سواءٌ أكان ذلك على مستوى الاسم أو الفعل أو الحرف.

٦- كان لحروف الجرِّ الصدارة في تعدُّد معاني الحرف القرآنيِّ، إذ اقتصرت الدراسة على نزر يسير من هذه التطبيقات تجنُّبًا للإطناب والإسهاب.

٧- من الظواهر الأسلوبيَّة الكاشفة عن إعجاز النصِّ الكريم، هو التعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة والأحرف المعدودة، وهذا الأسلوب يجمع فيه بين فصاحة الكلام وبلاغته وجزالة نظمه في آنٍ واحد، وهو أرقى فنون التعبير وأسماها.

المصادر

القرآن الكريم

أبو السعود. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. ج٩. بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي, د.ت.

ابن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق بدوي الحوفي, أحمد طبانة. ط٢. دار النهضة العربية, ١٩٧٣.

ابن جني, أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق محمد علي النّجار. ط٢. عالم الكتب, ٢٠١٠.

ابن عاشور. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسيّة للنشر, ١٩٨٤.

ابن عباد, إسماعيل بن العباس الصاحب. المحيط في اللغة. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية, د.ت.

ابن منظور. لسان العرب. ط٣. بيروت: دار صادر, ١٤١٤هـ.

الأندلسي, أبو محمد بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق عبد السلام عبد الشافي. ط١. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية, ١٢٤٤هـ.

الباقلاني, أبو بكر محمد بن الطيب. إعجاز القرآن. تحقيق أحمد صقر. ط٥. القاهرة-مصر: دار المعارف, ١٤٨١ هـ.

البغوي, أبو محمد الحسين بن مسعود. معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم. ط٢. بيروت-لبنان: دار أحياء التراث العربي, ١٤٢٠هـ.

الجرجاني, عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق محمود شاكر أبو فهر. مطبعة المدني بالقاهرة, ١٩٩٢.

الخازن, أبو الحسن علاء الدين بن محمد بن إبراهيم. لباب التأويل في معاني التنزيل. تحقيق محمد علي شاهين. ط١. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية, ١٤١٥هـ.

الخطيب, عبد الكريم. الإعجاز في دراسات السابقين. ط٣. القاهرة-مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر, ١٤٠٥هـ.

الدامغاني, الحسين بن محمد. الوجوه والنظائر. تحقيق سيد الأهل عبد العزيز. ط١. بيروت-لبنان: دار العلم للملايين, ١٤١٢هـ.

الرازي, فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن. مفاتيح الغيب. ط٣. بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي, ١٤٢٠هـ.

الزجاج, أبو إسحاق إبراهيم بن السري. إعراب القرآن. ط١. بيروت-لبنان: عالم الكتب, ١٤٠٨هـ.

الزمخشري, محمود. الكشاف. ط٣. بيروت: دار الكتب العربي, ١٩٤٧.

الزملكاني, كمال الدين عبد الواحد عبد الكريم. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن. ط٣. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية, ١٤١٦هـ.

السمرقندي, أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد. تفسير بحر العلوم. ط١. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية, ١٤١٣ هـ.

القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. الجامع لأحكام القرآن. ط٢. القاهرة-مصر: دار الكتب المصرية, ١٣٨٤هـ.

القيسي, عودة الله منيع. سرّ الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن. ط١. عمان_ الأردن: دار عمار, ١٤٤٢هـ.

الكاشاني, فتح الله بن شكر. زبدة التفاسير. ط٢. بيروت-لبنان: مؤسسة المعارف الإسلامية, ١٤٢٠هـ.

المدرسي, محمد تقي. تفسير من هدى القرآن. بيروت-لبنان: دار القارئ, ١٤٤٤ هـ.

المراغي, أحمد بن مصطفى. تفسير المراغي. ط١. القاهرة-مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده, ١٣٦٥هـ.

الواحدي, أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ط٢. السعودية: دار الإصلاح, الدمام, ١٤١٢هـ.

سالم, عبد العال. المشترك اللفظي في الحقل القرآني. ط١. بيروت-لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر, ١٤٠٣هـ.

يونس, محمد محمد. المعنى وظلال المعنى. القاهرة-مصر: مكتبة الشباب, د.ت.

References

The Glorious Qur'an

Abu Al-Su'ud. Irshad Al-'Aql Al-Salim ila Mazaya Al-Qur'an Al-Karim. J. 9. Bayrut-Lubnan: Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabi, d.t.

Ibn Al-Athir. Al-Mathal Al-Sa'ir fi Adab Al-Katib wa Al-Sha'ir. Tahqiq Badawi Al-Hawfi, Ahmad Tabana. T. 2. Dar Al-Nahda Al-'Arabiyya, 1973.

Ibn Jinni, Abu Al-Fath 'Uthman. Al-Khasa'is. Tahqiq Muhammad 'Ali Al-Najjar. T. 2. 'Alam Al-Kutub, 2010.

Ibn 'Ashur. Al-Tahrir wa Al-Tanwir. Tunis: Al-Dar Al-Tunisiyya lil-Nashr, 1984.

Ibn 'Abbad, Isma'il ibn Al-'Abbas Al-Sahib. Al-Muhit fi Al-Lugha. Bayrut-Lubnan: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyya, d.t.

Ibn Manzur. Lisan Al-'Arab. T. 3. Bayrut: Dar Sadir, 1414 H.

Al-Andalusi, Abu Muhammad ibn Ghalib ibn 'Abd Al-Rahman ibn 'Atiyya. Al-Muharrar Al-Wajiz fi Tafsir Al-Kitab Al-'Aziz. Tahqiq 'Abd Al-Salam 'Abd Al-Shafi. T. 1. Bayrut-Lubnan: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyya, 1244 H.

Al-Baqillani, Abu Bakr Muhammad ibn Al-Tayyib. I'jaz Al-Qur'an. Tahqiq Ahmad Saqr. T. 5. Al-Qahira-Misr: Dar Al-Ma'arif, 1481 H.

Al-Baghawi, Abu Muhammad Al-Husayn ibn Mas'ud. Ma'alim Al-Tanzil fi Tafsir Al-Qur'an Al-Karim. T. 2. Bayrut-Lubnan: Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabi, 1420 H.

Al-Jurjani, 'Abd Al-Qahir. Dala'il Al-I'jaz. Tahqiq Mahmud Shakir Abu Fahr. Matba'at Al-Madani bil-Qahira, 1992.

Al-Khazan, Abu Al-Hasan 'Ala' Al-Din ibn Muhammad ibn Ibrahim. Lubab Al-Ta'wil fi Ma'ani Al-Tanzil. Tahqiq Muhammad 'Ali Shahin. T. 1. Bayrut-Lubnan: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyya, 1415 H.

Al-Khatib, 'Abd Al-Karim. Al-I'jaz fi Dirasat Al-Sabiqin. T. 3. Al-Qahira-Misr: Al-Sharika Al-Masriyya Al-'Alamiyya lil-Nashr, 1405 H.

Al-Damighani, Al-Husayn ibn Muhammad. Al-Wujuh wa Al-Naza'ir. Tahqiq Sayyid Al-Ahl 'Abd Al-'Aziz. T. 1. Bayrut-Lubnan: Dar Al-'Ilm lil-Malayin, 1412 H.

Al-Razi, Fakhr Al-Din Abu 'Abd Allah Muhammad ibn 'Umar ibn Al-Hasan. Mafatih Al-Ghayb. T. 3. Bayrut-Lubnan: Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabi, 1420 H.

Al-Zajjaj, Abu Ishaq Ibrahim ibn Al-Sari. I'rab Al-Qur'an. T. 1. Bayrut-Lubnan: 'Alam Al-Kutub, 1408 H.

Al-Zamakhshari, Mahmud. Al-Kashshaf. T. 3. Bayrut: Dar Al-Kutub Al-'Arabi, 1947.

Al-Zamlakani, Kamal Al-Din 'Abd Al-Wahid 'Abd Al-Karim. Al-Burhan Al-Kashif 'an I'jaz Al-Qur'an. T. 3. Bayrut-Lubnan: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyya, 1416 H.

Al-Samarqandi, Abu Al-Layth Nasr ibn Muhammad ibn Ahmad. Tafsir Bahr Al-'Ulum. T. 1. Bayrut-Lubnan: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyya, 1413 H.

Al-Qurtubi, Abu 'Abd Allah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr. Al-Jami' li-Ahkam Al-Qur'an. T. 2. Al-Qahira-Misr: Dar Al-Kutub Al-Masriyya, 1384 H.

Al-Qaysi, 'Awda Allah Muni'. Sirr Al-I'jaz fi Tanawwu' Al-Siyagh Al-Mushtaqqa min Asl Lughawi Wahid fi Al-Qur'an. T. 1. 'Amman-Al-Urdun: Dar 'Ammar, 1442.

Al-Kashani, Fath Allah ibn Shukr. Zubdat Al-Tafasir. T. 2. Bayrut-Lubnan: Mu'assasat Al-Ma'arif Al-Islamiyya, 1420.

Al-Mudarrisi, Muhammad Taqi. Tafsir min Huda Al-Qur'an. Bayrut-Lubnan: Dar Al-Qari', 1444.

Al-Maraghi, Ahmad ibn Mustafa. Tafsir Al-Maraghi. T. 1. Al-Qahira-Misr: Matba'at Mustafa Al-Babi Al-Halabi wa Awladihi, 1365.

Al-Wahidi, Abu Al-Hasan 'Ali ibn Ahmad ibn Muhammad. Al-Wajiz fi Tafsir Al-Kitab Al-'Aziz. T. 2. Al-Sa'udiyya: Dar Al-Islah, Al-Dammam, 1412.

Salim, 'Abd Al-'Al. Al-Mushtarak Al-Lafzi fi Al-Haql Al-Qur'ani. T. 1. Bayrut-Lubnan: Al-Mu'assasa Al-Jami'iyya lil-Dirasat wa Al-Nashr, 1403.

Yunus, Muhammad Muhammad. Al-Ma'na wa Zilal Al-Ma'na. Al-Qahira-Misr: Maktabat Al-Shabab, d.t.